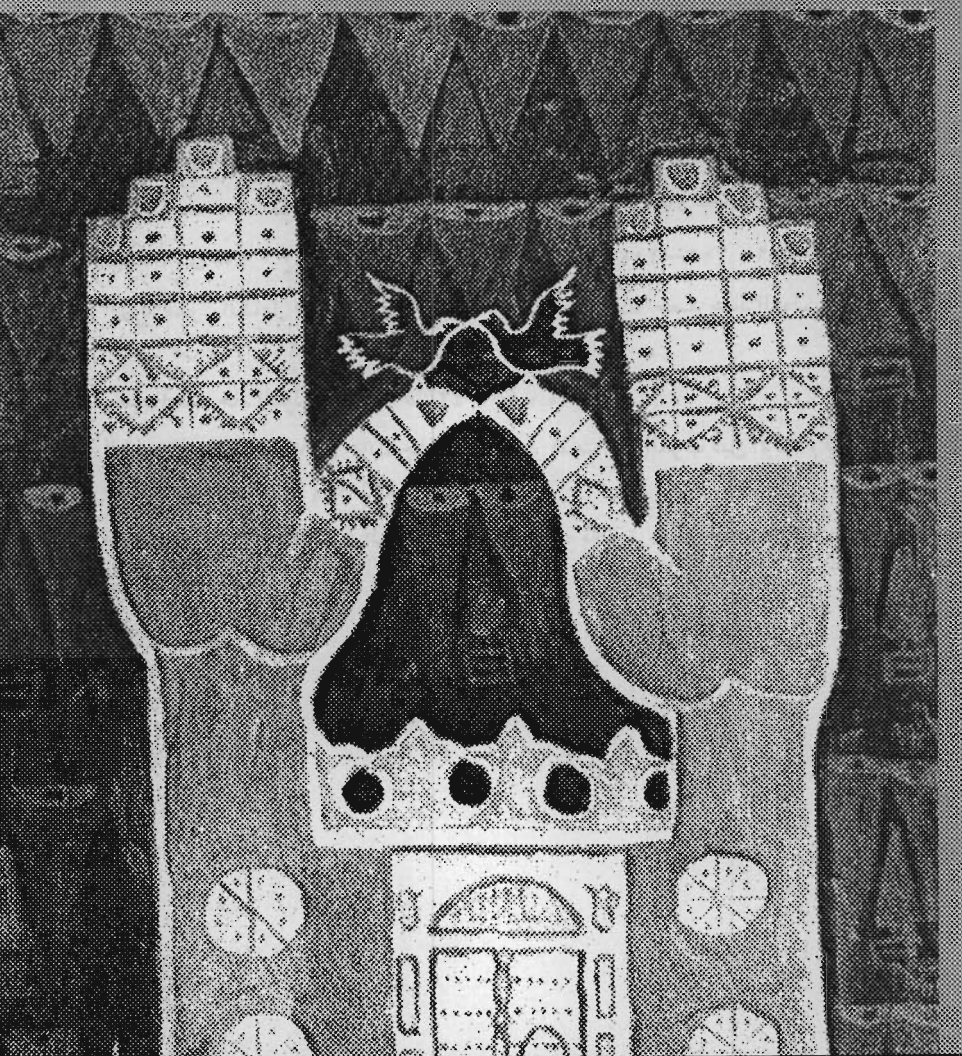


البحرين



مؤلفات جغرافيا القرنين الثالث والرابع الهجريين

التاسع والعاشر الميلاديين [٢]

بقلم : الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

عرضنا في العدد السابق من الوثيقة للجزء الأول من هذا البحث القيم
للدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري . . وقد عرض المؤلف في الجزء
الأول للمحور الجغرافي . . ونقدم فيما يلي الجزء الثاني من البحث
ويتناول فيه المؤلف المحاور السكانية والاجتماعية والاقتصادية .

المحور السكاني والاجتماعي

لاشك أن الطبيعة والجغرافية توفر لكل بقعة من الأرض، مهما كان حجمها
ورقعته، مواصفات ومميزات تهئ المجال للسكان للاستقرار وتكوين المجتمع
الذي يرتبط بها، ويمارس على أرضها مختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية والعسكرية والدينية والثقافية، وتتسع هذه الأنشطة وتضيق وتتحدد
تبعاً للظروف التي يتأثر بها المجتمع إيجاباً وسلباً، وربما يتخصص بلد ما أو
مجتمع ما بنشاط معين متميز، بسبب الظروف التي تهئ له الإبداع
والتميز في ذلك النشاط أكثر من غيره، وعلى هذا الأساس لابد من

دراسة الوجود السكاني والاجتماعي في الرقعة الجغرافية التي امتدت عليها أرض البحرين ومن ثم ندرس النشاط السكاني في مختلف وجوهه .

إن هذا المحور يرتبط مباشرة بالمحور الجغرافي من حيث توزيع السكان واستقرارهم والاهتمام بدراسة القبائل العربية التي استقرت على أرض البحرين الواسعة، والتي شكلت التجمعات السكانية ذات النشاط الاقتصادي والسياسي فيها خلال المدة موضوع البحث، وتعد الأرض (أي الوطن) والسكان من المستلزمات الأساسية لتكوين المجتمع مهما كان نوعه أو حجمه أو عدده، الذي يتميز حتماً باختلافه في هذه المواصفات من منطقة إلى أخرى داخل التجمع الواحد حصراً في المدينة أو القرية واستمراراً على نطاق البلد كله أو الإقليم، ويتركز السكان في بعض المناطق، بسبب وجود فرص العمل مثل الموانئ والمناطق الواقعة على طرق المواصلات ومراكز الإدارة واتخاذ القرار، في حين تتضاءل وتقل أعداد السكان في المناطق البعيدة والنائية التي تقل فيها الموارد ومصادر الرزق مثل المناطق الصحراوية والمفاوز المنقطعة التي تتميز بعزلتها وتضاؤل نشاطها الحياتي، فتعتمد على الرعي والتنقل المستمر طلباً للماء والكلاء، أو العمل في القوافل التجارية عبر الصحراء الشاسعة .

[١] سكان البحرين

العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب وقتذاك وبرها ومدرها - أي البوادي والمدن - اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان والبوادي التي تجاور العراق وبلاد الشام (بادية العراق والشام

تذكر الروايات الأسطورية معلومات تتعلق بسكان البحرين القدامى، روى المسعودي^(١) عن ابن الكلبي وغيره من علماء العرب بأخبار سؤالف الأمم، أن بلاد الكلدانيين - وهم السريان - الذين ذكروا في التوراة كانت واسعة شملت

مع جزيرة العرب)، ويضيف أن جزيرة العرب كلها كانت مملكة واحدة يحكمها ملك واحد ولسانها لسان واحد هو السرياني، وهو اللسان الأول لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب .

إن هذا النص مهم جداً على الرغم مما فيه من المبالغة الواضحة، حول امتداد الرقعة الجغرافية الواسعة جداً لامتداد بلاد الكلدانيين، وهم أقوام عربية قديمة جزرية، هاجرت من جزيرة العرب واستقرت في منطقة الهلال الخصيب وسواحل الخليج العربي، ويوضح لنا النص أن بلاد البحرين كانت جزءاً من تلك الرقعة الواسعة التي انتشر فيها دين التوحيد ولغته، والمرجح أنه دين إبراهيم عليه السلام الحنيف، ويلاحظ في النص الجمع بين الإمامة والعروض والبحرين، في حين أن ابن الكلبي وغيره من علماء العرب يدركون تماماً أن العروض هو أهم أقاليم جزيرة العرب الذي يضم كلا من : الإمامة والبحرين وعمان، لذا فإن ذكر العروض يغني تماماً عن ذكر الإمامة والبحرين لأنه يضمهما، وتعود أهمية النص إلى أن الكلدانيين

كانوا يشكلون جزءاً من سكان البحرين في العصور القديمة التي سبقت ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وكان هؤلاء موحدين انتشرت بينهم ديانة التوحيد التي نشرها الأنبياء بدءاً من آدم ومن بعده نوح وإبراهيم عليهم السلام، وهؤلاء السكان أصلاً هم عرب شبه الجزيرة العربية الذين هاجروا منها لأسباب اقتصادية أو أسباب تتعلق بالمشاكل القبلية السائدة في الثارات والتنافس على أماكن الماء والكلأ والسيطرة على طرق القوافل التجارية، وما يتبع كل ذلك من مشاكل أدت إلى هجرة تلك القبائل من الجزيرة العربية إلى أطرافها وما يجاورها .

وذكر ابن الفقيه^(٢) أن منازل طسم وجديس كانت الإمامة وما حولها إلى البحرين، ومنازل عاد الأولى في الأحقاف، وهو الرمل ما بين عمان إلى عدن، وأن الإمامة سميت بامرأة من طسم بنت مرة .

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لها أهمية كبيرة، إلا أنها تدخل ضمن الروايات الأسطورية المتعلقة بسكان البحرين القدماء، فهي تدل على قِدَم

البحرين وأن العرب استقروا فيها منذ
أزمان بعيدة سبقت الإسلام بقرون
طويلة، إذ أن طسم وجديس من العرب
البائدة التي امتدت ديارها بين اليمامة
والبحرين، أي أنها كانت موزعة في
استقرارها بينهما، في الوقت نفسه كانت
منازل عاد الأولى - وهم من العرب البائدة
أيضاً في الأحقاف، وقد ذكر القرآن
الكريم قصص تلك الأقوام القديمة التي
بادت أي انتهت تماماً .

ونرجح أن استقرار طسم وجديس في
اليمامة والبحرين كان مرتبطاً بظروف
الهجرات العربية القديمة من الجزيرة
العربية إلى المناطق المجاورة لها ذات
الخصب والوارد، ولعل التناسب
العكسي بين زيادة سكان تلك المناطق
الصحراوية المجربة وقلة مواردها،
بسبب الجفاف وقلة سقوط الأمطار أو
انعدامها في بعض السنين، كان سبباً
مباشراً وراء تلك الهجرات المستمرة من
المناطق الصحراوية القاحلة إلى مناطق
الخير والنشاط، حيث الماء والكلأ والعمل
التجاري في الموانئ والمدن الواقعة على
سواحل الخليج العربي أو بالقرب من
مجاري الأنهار والعيون حيث الاستقرار

البشري، فلا نستبعد أن كانت البحرين
إحدى المناطق التي اتخذتها تلك القبائل
مسرحةً لنشاطها القبلي سواء أكان
سياسياً أم اقتصادياً منذ عصور قديمة
جداً .

وقبيل ظهور الإسلام وقيام الدولة
العربية الإسلامية استقرت في البحرين
أعداد من أبناء القبائل العربية المختلفة
التي هاجرت من اليمن وشبه جزيرة
العرب إليها، وكانت تلك الهجرات
مستمرة نحو الساحل الشرقي للخليج
العربي منذ القرن الرابع الميلادي، فضلاً
عن ذلك الاستقرار الدائم على الساحل
الغربي للخليج العربي^(٣)، بمعنى أن
الخليج كان عربياً بساحليه الغربي
والشرقي، بسبب الاستقرار العربي القائم
عليهما، فاستقرت قبيلة عبد القيس في
البحرين، واستقر بنو حنيفة في اليمامة،
والمرجح أنهم من قبيلة ربيعة العربية،
واستقر بنو تغلب في الجزيرة^(٤)، أي
الجزيرة الفراتية في العراق بين نهري
دجلة والفرات .

وأشار المسعودي^(٥) أيضاً إلى
استقرار قبائل عربية في اليمامة والبحرين
من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من بكر

بن وائل، وذلك في معرض حديثه عن معركة ذي قار بين بكر بن وائل وبين الجيش الفارسي بقيادة الهامرز الذي أرسله الملك خسرو أبرويز، ومما يؤخذ عليه في روايته أنه حدد تاريخ معركة ذي قار عام ٢هـ / ٦٢٣م، في حين أن المرجح أنها وقعت قبيل البعثة النبوية الشريفة بقليل، ويمكن تحديد وقوعها سنة ٦١٠م أي في السنة الأولى للبعثة، وقبل سنة ٦١٥م، أي قبل هجرته وصحابته إلى المدينة المنورة، ويضيف المسعودي في روايته أن أناساً من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من بكر بن وائل جاءوا من اليمامة وبلاد البحرين الموسم، أي موسم الحج في مكة المكرمة، وكانوا يريدون المضي إلى قبيلة بكر لنجدتها، فوقف عليهم النبي ﷺ، وهو يعرض دعوته للإسلام على قبائل العرب في مكة، ومعه أبو بكر ﷺ، فدعاهم إلى الإيمان بالله، وجرت بينهما مناقشة، فوعده إن نصرهم الله على الأعاجم فإنهم سيؤمنون به ويصدقوا بنبوته، فدعا النبي ﷺ لهم بالنصر، فلما بلغه نصرهم على الفرس، قال: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من

العجم وبني نصر"، وهذا يعني أن إرهابات نصر العرب على العجم تزامنت مع بدء دعوة النبي محمد ﷺ الناس للدخول في الإسلام، فكان يوم ذي قار نصراً عظيماً للعرب ومن الأيام الخالدة التي تفخر بها قبيلة بكر بن وائل على سائر العرب.

ونستنتج من قيام معركة ذي قار أهميتها الكبيرة، إذ شاركت قبائل العرب من عبد القيس وحنيفة مع قبيلة بكر بن وائل في حربها ضد الفرس، وكان تحرك هذه القبائل من البحرين نحو العراق، وبعضها تحرك من مكة نحو العراق، كما في رواية المسعودي هذه، وكان ذلك بداية لدخول العرب بشكل واسع في دين الله الذي يدعو إلى الوحدة لله كما يدعو لتوحيد العرب في أمة واحدة تحت قيادة الرسول محمد ﷺ، وتخليصهم من السيطرة الأجنبية.

وبسبب احتكاك قبائل العرب في البحرين مباشرة بجبهة العراق ضد الفرس، دخل أهل البحرين في وقت مبكر في دين الله الإسلام طوعاً وبرغبة كبيرة، إذ بعث الرسول ﷺ العلاء بن

الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخى بني عبد القيس صاحب البحرين، وذلك عام ٦٢٧هـ/٦٢٧م قبل فتح خيبر^(٦).

ونرجح أن مبعوث الرسول ﷺ إلى البحرين وصلها بعد عقد الرسول ﷺ صلح الحديبية مع مشركي قريش في ذلك العام، وهو الصلح الذي كان انتصاراً عظيماً للرسول ﷺ والمسلمين ضد المشركين، إذ نصت إحدى مواده أنه يحق للرسول ﷺ والمسلمين التحالف مع من يشاء من القبائل العربية، أي مفاتحتها للدخول في الإسلام والوقوف معه في دعوته، فضلاً عن وقف القتال بين الطرفين لمدة عشر سنوات.

وهكذا دخلت البحرين في الإسلام ونجحت دعوة الرسول الكريم ﷺ في كسب المنذر بن ساوى إلى صفوف المسلمين، وكان التوفيق حليف مبعوثه إليها وهو العلاء بن الحضرمي، لذا أشار بعض الجغرافيين^(٧) إلى وجود قرى كثيرة في البحرين فيها قبائل عربية من مضر ذوي عدد وعدة وقد احتفوا بها، ويضيف ابن حوقل^(٨) أن قوة قبائل مضر اغتصبت البحرين دون تحديد تاريخ ذلك، ونحن نرجح أن ذلك تم

قبل سيطرة القرامطة الذين اتخذوا من (هجر) داراً لهم، أي مركزاً لسلطتهم، فاغتصبوا السلطة من تلك القبائل، ولم تستطع تلك القبائل مقاومتهم والتخلص من نفوذهم بسهولة.

ومن القبائل العربية التي استقرت في البحرين قبل الإسلام بقرون طويلة، قبيلة (كندة)، حيث سكنت في حضرموت بعد أن أجليت عن البحرين والمشقر، ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة الذين انتقلوا إلى حضرموت بأكثر من ثلاثين ألفاً، وعرفت المنطقة الجديدة التي استقروا فيها : غمر ذي كندة، وكان ذلك قبل ظهور الإسلام^(٩).

وتعد الأزد من القبائل العربية المعروفة، وهي أصلاً من قبائل اليمن، وقد توزعت في استقرارها على أماكن متفرقة من ديار العرب، بسبب الهجرات التي قامت بها القبائل العربية، لأسباب وظروف متنوعة قبل الإسلام بقرون طويلة، فأقاموا بتهامة حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عك، فساروا إلى الحجاز فرقاً، وصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات ومنهم من تخلف بمكة وما

حولها، ومنهم من خرج إلى العراق،
ومنهم من سار إلى الشام، ومنهم من
توجه قاصداً إلى عمان واليمامة
والبحرين، وفي ذلك يقول الشاعر جماعة
البارقي (١٠) :

حلت الأزد بعد مأربها الغو
ر فأرض الحجاز فالسروات
ومضت منهم كتائب صدق
منجذات تخوض عرض الفلاة
فأنت ساحة اليمامة بالأظ
عان والخيول والقنا والرماة
فأنافت على سيوف لطم
وجديس لدى العظام الرفات
واتلأبت تؤم قافية البحر
رين بالخور بين يدي الرعاة
فأقرت قرارها بعمان
فعمان محل تلك الحماة

وهي قصيدة طويلة في (٢٦) بيتاً
تحكي قصة الأزد وانتصاراتهم، ومنها
انتصار أهل المدينة من الأوس والخزرج
(بنو قيلة) على اليهود، ويتضح لنا من
خلال الشعر أن هجرة الأزد كانت بعد
خراب سد مأرب الشهير في اليمن .

وهكذا يتضح لنا بجلاء أن سكان
البحرين القدامى كانوا من قبائل عربية
معروفة هاجرت إليها من شبه جزيرة

العرب، وهي ما عرفت بـ : الأقوام
الجزرية وكذلك من قبائل عربية هاجرت
من اليمن ومنها قبيلة الأزد العربية
الشهيرة، فكان سكان البحرين قبل
ظهور الإسلام من قبائل عربية مشهورة
أبرزها : عبد القيس وبكر بن وائل وبني
حنيفة وتميم والأزد، وشكلت هذه
القبائل صفوة مجتمع البحرين عند ظهور
الإسلام، فدخلت في دين الله وشاركت
في نشره وبناء الدولة العربية الإسلامية .

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من
أصول القبائل العربية في البحرين، تعود
- كما ذكرنا - إلى الأقوام والقبائل
العربية البائدة والقديمة، مثل الكلدانيين
وهم السريان وقبائل طسم وجديس الوارد
ذكرها في شعر البارقي ثم تواصلت
القبائل العربية الأخرى التي توجهت إلى
البحرين واستقرت فيها منذ عصور قديمة
سبقت ظهور الإسلام - كما ذكرنا في
بداية بحثنا هذا .

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر
الميلادي سيطر القرامطة على البحرين،
وكانت السيطرة لقائدهم أبي سعيد
الحسن بن بهرام ولولده سليمان من
بعده، وتمركزت سلطتهم في جزيرة

خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفقهم منزلة عندهم".

ولم تزودنا المصادر الجغرافية الأخرى بمعلومات عن حياتهم الاجتماعية بما في ذلك عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم مما يشكل لدينا صورة من حياتهم اليومية .

ومما لا ريب فيه أن الفرس شكلوا جزءاً من سكان البحرين، منذ أن سيطرت بلاد فارس على هذا الجزء الحيوي المهم في خليجنا العربي الأشم قبل الإسلام وانتهت سيطرتهم بظهور الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية التي حررت أجزاء واسعة في أرضنا العربية الشماء من السيطرتين الفارسية والبيزنطية، وحلت سيادة العرب محل تلك السلطة الأجنبية ونشرت الإسلام في ربوعها، فكان المجوس عبدة النيران والأسبذيين الذين كانوا يعبدون الخيل ضمن الجاليات الفارسية التي استقرت في البحرين قبل الإسلام، فضلاً عن وجود الجيلان وهم قوم من أبناء فارس انتقلوا إلى البحرين من نواحي اصطخر^(١٧) كما توجد إشارة إلى استقرار (السنابرة) ويبدو من تسمية أحدهم

أوال، واستمر وجود القرامطة في عصر ابن حوقل^(١١) الذي ذكر بقايا نسلهم من أبي سعيد وكانوا نحو أربعمئة نسمة بين رجل وامرأة، وهذا يعني وجود الفرس في البحرين، لأن أصل القرامطة يعود إلى مدينة جنابة^(١٢)، وهي مدينة تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي، وعرف كل من أبي سعيد الحسن بن بهرام وولده أبي طاهر سليمان بـ : الجنابي، نسبة إلى مدينة جنابة^(١٣)، واتخذ القرامطة أيضاً الاحساء وهي قسبة هجر مستقراً لهم، وهم آل أبي سعيد الجنابي، كما اتخذوا من جزيرة أوال وسائر المدن على البحر أو القريبة منه مستقراً لهم^(١٤)، وعدت هجر من ديار القرامطة، ومقامهم في دارهم^(١٥)، وذكر ابن حوقل^(١٦) بعضاً من رسومهم منها "ركوب مشائخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون إلى قبلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع، وقد لبسوا البياض لا غير . وكان من رسومهم أن تقع سوراھم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم، فإن اتفق رأيهم على

(سابور) أنهم من أصول فارسية، وكان للسنابرة خمس الأموال الواردة إلى البحرين أيام سيطرة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي وولده أبي طاهر سليمان، إذ كان خمس الأموال لصاحب دعوتهم أي الداعي أو الإمام الناطق باسم القرامطة، وهو رجل الدين عندهم المسمى : صاحب الزمان، وثلاثة أخماس لولد أبي سعيد المذكور والخمس الباقي للسنابرة يستلمه ممثلهم أبو محمد سنبر بن الحسن بن سنبر، ووصف بأنه كان أكمل القوم وأشدهم، متمكناً من نفسه، وكانت أسرته من ولد أبيه وولده نحو عشرين رجلاً^(١٨).

وشكل اليهود والنصارى جزءاً من سكان البحرين، ويشير البلخي^(١٩) إلى أن البحرين أكثر يهوداً، لأنها ليست من الحجاز، ولسنا نعلم على وجه الدقة العنصر الذي ينتمي إليه اليهود والنصارى في البحرين، هل هم من العرب أم من شعوب أخرى استقرت في البحرين قبل التحرير العربي الإسلامي لها بمدة من الزمن، إذ سكنت المصادر المتوفرة لدينا عن إيضاح هذه المسألة المهمة.

وأشار الجاحظ^(٢٠) إلى أن سبب استفادة النجدة في جميع أصناف الخوارج وتقدمهم في ذلك، يرجع إلى التزامهم بالدين، فكان عبيدهم ومواليهم ونساؤهم يقاتلون مثل قتالهم، كما كان الرجل المسلم من العرب سواء أكان يمانياً أو بحرانياً أو جزرياً، وكذلك إباضية عمان من العرب وما كان من غير العرب مثل السجستاني وإباضية تاهرت كان هؤلاء جميعاً متساوون في القتال والنجدة وثبات العزيمة والشدة في البأس، على الرغم من اختلاف أنسابهم وبلدانهم، وفي هذا دليل على أن الذي ساوى بينهم هو التدين بالقتال. ويوضح لنا نص الجاحظ مدى تأثير الإسلام على سكان البحرين، فأصبحوا مقاتلين أشداء للذود عن قيم ومبادئ هذا الدين العظيم وحمل رسالته، وكان أهل البحرين أخوة في الإسلام مع إخوانهم العرب من أهل اليمن وجزيرة العرب وعمان، فضلاً عن إخوانهم المسلمين من غير العرب، وعلى الرغم من اختلاف المذاهب، إلا أن الجميع متساوون في القتال والنجدة لأن الدين ساوى بين الجميع بغض النظر عن أصولهم العرقية ومذاهبهم الدينية وقد

سجلت بعض المصادر الجغرافية ملاحظات أخرى حول سكان البحرين، منها^(٢١) أن من سكن البحرين عظم طحاله، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله
ويُحسد بما في بطنه وهو جائع
وذكر ابن الفقيه^(٢٢) عيوب البلدان، ومنها : طحال البحرين .

ويمكن أن نعلل ظاهرة تضخم الطحال في البحرين وكبر البطن أي انتفاخها بعدة أسباب، منها : تأثير مناخ البحرين على السكان، وهو مناخ شبه الجزيرة العربية الذي وصف بأنه شديد الحرارة، تتفاوت فيه درجة الحرارة بين الليل والنهار، وتتعرض البحرين لهبوب الرياح الرطبة أيام

الخريف، وهو عموماً كثير الرطوبة قليل الأمطار، كما أن شتاء البحرين معتدل الحرارة قليل الأمطار^(٢٣)، فضلاً عن تأثير المياه التي كان مصدرها الآبار والعيون الواقعة في المناطق الصحراوية والمنقطعة، وبعضها اتصف بمياه مالحة ومجة خصوصاً الآبار منها، فكان ماؤها أجاباً يذرب البطون، والذرب داء يصيب البطن ويسبب الإسهال، ولعل هذه العوامل كانت من الأسباب التي أدت إلى إصابة طحال سكان البحرين بالأمراض . ولا يخلو مجتمع من سلبات وانتقادات يمكن أن يسجلها الرحالة ومرتادو المنطقة خلال زيارتهم لها أو يسمعونها من القادمين منها عن طريق الرواية الشفوية^(٢٤) .

[ب] قبائل البحرين وتوزيعها

تُسكن . . . إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين .

يتضح لنا من هذا النص انتشار القبائل العربية في رقعة جغرافية واسعة تمتد بين العراق واليمن والشام، وإشغالها تلك الأراضي في الاستقرار واستغلال مراعيها ومياهها، باستثناء المنطقة بين اليمامة والبحرين وعمان، وهي منطقة صحراوية مقفرة موحشة، تبدأ بعد ديار عبد القيس وهي خالية من الآبار والسكان ومراعيها مقفرة ولا يمكن اجتيازها ولا السكن فيها، إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين . وقد سبق أن درسنا تلك المناطق المعزولة الخالية من النشاط البشري من خلال بحثنا الطرق من وإلى البحرين .

ويضيف الاصطخري في وصفه استقرار القبائل العربية وعلى وجه الخصوص في بادية البصرة، أي البادية الممتدة من شبه الجزيرة العربية إلى البصرة، إذ يقول : "وأما بادية البصرة

توزعت القبائل العربية في الرقعة الجغرافية التي شغلتها البحرين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وكانت لتلك القبائل ديار ومنازل متباعدة في موقعها وطبيعتها، توزعت على ساحل الخليج العربي والمناطق الصحراوية بين البحرين والبصرة، وبين البحرين وعمان والبحرين واليمامة، وهكذا اتخذت تلك القبائل من أرض البحرين مستقراً لها، وتوزعت على امتداد رقعتها الجغرافية الواسعة .

وصف الاصطخري^(٢٥) انتشار القبائل العربية في المناطق الممتدة بين العراق والشام واليمن بقوله : "ولا أعلم فيما بين العراق واليمن والشام مكاناً إلا وهو في ديار طائفة من العرب، ينتجعونه في مراعيهم ومياههم إلا أن يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان . من وراء عبد القيس بركة خالية من الآبار والسكان والمراعي قفرة لا تُسلك ولا

فإنها أكثر هذه البوادي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة، ثم من ورائهم عبد القيس". وهكذا يتضح لنا أن قبيلة تميم اتخذت من بادية البصرة التي تمتد لتتصل مع البحرين واليمامة داراً ومستقراً لها، وكانت منازل وديار عبد القيس وراءها، أي تبدأ من اليمامة التي تشغل الحدود الغربية للبحرين وتمتد جنوباً نحو بادية عمان. وشمالاً إلى سواحل الخليج العربي، فتشمل الخط والقطيف وساحل هجر.

تعد قبيلة عبد القيس بن أفضى من القبائل العربية المعروفة التي استقرت في البحرين وارتبطت بتاريخها ارتباطاً وثيقاً، فصارت جزءاً من تاريخ البحرين السياسي والعسكري والثقافي خلال العصور الإسلامية الوسطى، وتوزعت هذه القبيلة وفروعها في أنحاء متفرقة من الرقعة الجغرافية الواسعة التي قامت عليها بلاد البحرين.

أشار الحربي^(٢٦) في معرض حديثه عن المنازل الممتدة من البصرة إلى البحرين، إلى استقرار فروع من قبيلة عبد القيس ففي هجر منبران أحدهما منزله

(نحم أهجر) في مملكة ابن عياش من عبد القيس، والمنبر الآخر في مملكة موسى بن عمران بن الرجاف، ومنزله جبلة أسفل هجر، وساكنها عبد القيس. وفي العقير - وهي فرضة العين وعمان والبصرة واليمن على ساحل الخليج العربي - منبر لبني الرجاف من عبد القيس، وبين جبلة والعقير مرحلتان خفيفتان، أي بحدود ١٢ فرسخاً، وتساوي المسافة بينهما بحدود ٧٢ كيلومتراً تقريباً.

ومن منازل عبد القيس التي ذكرها الحربي أيضاً: الزارة وهي من موانئ الخليج العربي، كان حاكمها أحمد بن سالم العبدي وهو رئيس أهل القطيف وساكنها عبد القيس. ثم القليعة وهي أيضاً لأحمد بن سالم، مدينة كبيرة بها منبر، وهي مدينة بدو، يسكنها بنو سعد، والمملكة لعبد القيس.

أوضح لنا الحربي عدة مدن وموانئ مهمة كانت مستقراً لقبيلة عبد القيس، واتخذت هذه القبيلة عدة ممالك، منها مملكة ابن عياش في هجر، وآل عياش حكام البحرين الذين ورد ذكرهم في شعر

لابن المقرب العيوني شاعر البحرين،
وهكذا سيطرت عبد القيس سيطرة متميزة
على أجزاء واسعة ومهمة من بلاد
البحرين، وأقامت لها ممالك في المناطق
المهمة مثل هجر وجبله والعقير والزارة
والقليلة .

ومن بطون عبد القيس المشهورة :
بنو محارب الذين كانت لهم سيطرة
ووجود متميز في أرجاء متعددة من
البحرين، ذكر ابن الفقيه (٢٧) قرى في
البحرين عددها ٢٢ قرية كانت موزعة في
بادية البحرين وعلى ساحل الخليج
العربي، وبمعنى آخر أنها كانت موزعة
بين أرض الصحراء وأرض الماء، وهذه
القرى تعود إلى بني محارب بن عمرو بن
وديعة، أي أنهم كانوا يشكلون سكانها
المستقرين فيها، أما قرى أبناء عموماتهم
بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو
بن وديعة، فهي أضعاف هذه القرى،
لكنه - مع الأسف - لم يذكر لنا أسماء
تلك القرى .

وذكر الهمداني الطريق من الاحساء
إلى حدود عمان، ومن منازل (الخن)،
وهو موضع على يمين البحرين ودونها
يبرين، والخن لبني ودعة (٢٨)، ولعلمهم

بنو وديعة فرع من بني محارب من عبد
القيس .

رسم لنا الهمداني (٢٩) صورة واضحة
لتوزيع قبائل عبد القيس، ابتداءً بمدينة
البحرين الكبرى هجر، ووصفها بأنها
سوق بني محارب من عبد القيس
ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين،
وهذا يعني أن بني محارب كانوا
منتشرين في قرى كثيرة في البحرين،
ونحن نعجب أن يسمي الهمداني مدناً
كبرى كالقطيف مثلاً بهذه التسمية، إذ
يطلق على القطيف : "قرية عظيمة
الشأن" وهي ساحل أي ميناء ساكنها
جذيمة من عبد القيس وسيدهم ابن
سمار ورهيفة (٣٠)، ثم العقير من دونه
وهو ساحل وقرية دون القطيف ويسكنه
العرب من بني محارب، ثم السيف
سيف البحر وهو من أوال على يوم،
وأوال جزيرة وسط البحر .

إن ما ذكره الهمداني يعد نقلاً لما
ذكره الحربي فيما يتعلق بتوزيع استقرار
قبيلة عبد القيس وفروعها مثل جذيمة
وبني محارب، في مدينة هجر، وهي
عاصمة البحرين في عصره، وفي تابعها

التي سماها : قرىً على ساحل الخليج العربي .

وزودنا المسعودي^(٣١) بصورة واضحة عن توزيع القبائل العربية في البحرين، ويهمنا بهذا الخصوص ما يتعلق بقبيلة عبد القيس وبطونها، ففي القطيف سكن علي بن مسمار وأخوته، وهم من عبد القيس، وقتل علي في المواجهة مع أبي سعيد الجنابي القرمطي الذي غزا البحرين واستولى على مدنها المهمة، على الرغم من امتلاك أهل البحرين وسائل القوة والمقاومة، خصوصاً امتلاكهم السلاح، ومن مدن البحرين : صفوان وبها بنو حفص، وهم من عبد القيس، وجواثا وكان بها العريان بن الهيثم الربيعي الذي قاد العرب من عبد القيس وبني عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم ضد علي بن محمد قائد الزنج الذي ظهر في البصرة وامتد نفوذه وسيطرته إلى البحرين، وتمكن من طرد صاحب الزنج من البحرين ونواحيها، ومن مدن البحرين الكبرى : هجر، وهي أعظم مدن البحرين، وكان بها عياش بن سعيد المحاربي رئيس بني محارب وحاكمها

قبل احتلالها من قبل القرامطة، ووصف بأنه : "كان أعظمهم عدة وأشدهم شوكة" .

ومن بطون عبد القيس لكيز بن أفصى بن عبد القيس الذين سكنوا السيف وهي ضفة البحرين أي ساحلها، روى الهمداني^(٣٢) شعراً جامعاً لكثير من ساكن العرب ومسالكتها، من ذلك قول الأحنس بن شهاب التغلبي يذكر بعض منازل العرب من جزيرة العرب :

لكل أناس من معد عمارة

عروضي إليها يلجأون وجانب

لكيز لها البحرين والسيف كله

وإن يأتيها بأس من الهند كارب

أراد الشاعر بالهند هنا السند،

ويقال البصرة، ويوضح لنا استقرار بطن لكيز بن أفصى من عبد القيس في ساحل البحرين .

يتضح لنا من استقرار وانتشار قبيلة

عبد القيس وتوزع بطونها في أرجاء متعددة من بلاد البحرين الواسعة، أنها تمتعت بشهرة ومكانة متميزة فيها، إلى درجة أن البحرين اقترنت بذكر قبيلة عبد القيس، والنسبة إليها : العبقسي

وقد أشار ابن الفقيه^(٣٣) إلى توزيع القبائل العربية في بلاد العرب بقوله : "واليماة لبني حنيفة والبحرين لعبد القيس والجزيرة لبني تغلب" فالبحرين اقترنت بقبيلة عبد القيس وعرفت واشتهرت بها أكثر من غيرها .

أما ديار بكر بن وائل فقد امتدت من اليمامة إلى البحرين إلى سيف (ساحل) كاظمة إلى البحر، ثم إلى أطراف سواد العراق فالأبلة فهيت^(٣٤) وهذا يوضح أن ديار بكر بن وائل كانت واسعة الامتداد بحيث شملت اليمامة والبحرين حتى ساحل كاظمة على الخليج العربي - وهو الحد الفاصل بين العراق والبحرين - ثم امتدت داخل سواد العراق في الأبلة إلى هيت . وهذا الحصر غير صحيح وغير دقيق .

ومن القبائل العربية التي استقرت في البحرين قبيلة الأزد العربية المشهورة، كان موطنها الأصلي اليمن ثم هاجرت إلى سواحل الخليج العربي والهلال الخصيب فأجزاء أخرى من بلاد العرب كانت البحرين إحداها^(٣٥)، وأورد الهمداني^(٣٦) قول بعض آل سعد بن ملكيكرب تبع وذكر منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها :

وأزد لها البحرين والسيف كله
وأرض عمان بعد أرض المشقر
ومنا بأرض الغرب جند تعلقوا
إلى بربر حتى أتوا أرض بربر
ثم أورد شعراً لعبد الله بن عبد الرحمن الأزدي يذكر فيه افتراق الأزد، ويوضح لنا الشعر في البيتين أولاً استقرار قبيلة الأزد في البحرين وساحل الخليج العربي كله، فضلاً عن استقرار الأزد في أرض عمان بعد أرض المشقر، وهي جزء من البحرين في ساحل هجر على الخليج العربي، كما أن بعض الأزد هاجروا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا التي سماها الشاعر أرض الغرب وأرض بربر .

ومن سواحل الخليج العربي التي استقر فيها الأزد، الزارة الميناء المشهور، كان بها الحسن بن العوام من الأزد^(٣٧)، وذلك أثناء هجوم الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي على البحرين ونواحيها .

استقرت قبائل عربية أخرى في بلاد البحرين، ففي صحراء يبرين، وهي أرض منقطعة بين الرمال، لها طريق إلى اليمامة وإلى البحرين في الرمل، سيطرت قبيلة قشير عليها، ثم أخرجت القرامطة

بني قشير عنها^(٣٨)، وبذلك استقرت قبيلة قشير في الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي، المسمى : رمل بني سعد، ويفصل يبرين عن البحر الرمال، وهي شرقي اليمامة باتجاه عمان .

وفي جزيرة أوال استقر العرب من بني معن وبني مسمار وخلائق كثيرة من العرب^(٣٩)، ونرجح أن الكثافة السكانية في هذه الجزيرة كانت كبيرة لوقوعها على الخليج العربي، ولأنها كانت مركزاً للنشاط البشري الاقتصادي، كونهما إحدى مغاصات اللؤلؤ، فضلاً عن نشاطها التجاري، لأنها كانت الجزيرة الكبرى التي سميت البحرين قديماً باسمها : جزيرة أوال .

ومن القبائل المشهورة التي استقرت في البحرين قبيلة بني تميم، وقد ذكرنا وصف الاصطخري وابن حوقل^(٤٠) لبادية البصرة، التي كانت أكثر البوادي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة، ومن ورائهم عبد القيس . ولا شك أن بادية البصرة تتميز بسعتها وامتدادها الجغرافي حتى تتصل بأرض البحرين واليمامة في بلاد نجد، لأن البحرين من نجد .

توزعت قبيلة تميم وفروعها وبطونها في أرجاء متعددة من البحرين، ففي منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، كانت أول مدينة يتم دخولها منبر بتاج، وتبعد أربع عشرة مرحلة، ساكنها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، ثم الاحساء وهي لبني سعد، وفي يبرين منبران، ساكنها بنو سعد بن زيد مناة، ومنبر بالفيل لبني جعدة، ومنبر بالقلعة وساكنها بنو سعد^(٤١) .

وكانت جبلة ضمن منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، لكن الاصطخري^(٤٢) ذكر حصن جبلة في آخر وادي ستارة، الواقع بين بطن مُر وعسفان عن يسار الذهاب إلى مكة، وبجبلة كانت وقعة لبني تميم في بكر بن وائل . ولم يحدد لنا الاصطخري تاريخ تلك المعركة وأسبابها واكتفى فقط بانتصار بني تميم على بكر بن وائل .

ومن منازل بني تميم في البحرين الاحساء، وهي منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم، وكان سوقها على كثيب (مرتفع) يسمى : الجرعاء، تتبايع عليه العرب^(٤٣)، ثم الستار

ويسمى : ستار البحرين وهو منادى بني تميم فيه متصلة البيضاء^(٤٤) .

زودنا لغدة الأصفهاني^(٤٥)
بمعلومات قيمة عن قبيلة تميم وبطونها
وديارها التي استقرت فيها في البحرين
وشبه الجزيرة العربية وامتداد وتداخل
تلك الديار ضمن الإقليمين ونواحيهما ،
فذكر أن أعظم بلاد تميم هي الوشم ،
والدهناء والجواء والصمان والدو
والسيدان والهاه وغر ويبرين وفلج وفليج
والحزن ، وهذه المناطق تتداخل ضمن
بادية شبه جزيرة العرب وبادية البصرة
التي تمتد نحو البحرين ، كما يتضح من
تسميات الدهناء ويبرين والفلج وهو حفر
الباطن المعروف ب : حفر أبي موسى
الأشعري وهو وادٍ عظيم يشق أسفل نجد
من قرب الدهناء ويمتد إلى الزبير في
العراق ، والفليج أيضاً وادٍ تصب مياهه
من السيول في حفر الباطن ، وهما
فليجان الشمالي يقع شمال فلج (الباطن)
والجنوبي يقع جنوبه ، ويفيض سيلهما
في المكان الذي يقع فيه الحفر .

وبخصوص إحدى بطون تميم ، ذكر
الأصفهاني^(٤٦) أيضاً عن سعد بن زيد
مناة أن أقصاها يبرين قرب عمان ، ينزله

منهم بنو عوف بن سعد ، وناس من بني
عوف بن كعب ، وأخلاق سعد ، وهؤلاء
كلهم متصلون إلى الاحساء التي تقع
قرباً من هجر على مسافة ميلين (أكثر
من ٣ كيلومترات) ينزلها أخلاطهم ،
وبها سيدهم وعاملهم إبراهيم بن موسى .
ويتضح لنا امتداد بني سعد بن زيد
مناة إحدى بطون تميم في رقعة جغرافية
واسعة من يبرين إلى الأحساء ويمثل
الأخير إقليماً واسعاً يمتد على الساحل
الغربي للبحر العربي الشرقي من عمان
إلى قرب كاظمة ، وقصبته هجر ، التي
كانت تطلق على الاحساء كلها ، ويبرين
ما يزال معروفاً في غرب الاحساء مشهور
فيه مياه ونخيل كثيرة .

وبخصوص بني مالك بن سعد من
بطون تميم أيضاً ، ذكر الأصفهاني^(٤٧)
أنهم متصلون إلى سفوان من يبرين ،
والمسافة بينهما أكثر من مسيرة شهر ،
وعرضهم من البحرين إلى الدهناء وأما
بنو عبد الله بن دارم فليس لهم في
البادية إلا (القرعاء) وهي ماء أسفل من
الصمان تقع بينه وبين الدو^(٤٨) .
وكانت القرعاء لرجل من بني تميم الله بن
ثعلبة يقال له : الأقرع .

تبين لنا مما سبق أن القبائل العربية استقرت في البحرين منذ عصور قديمة سبقت ظهور الإسلام، وانتشرت على أرض بلاد البحرين الواسعة الامتداد، وقد أوضحنا في بداية هذه الفقرة ذلك الانتشار بين العراق وبلاد الشام واليمن، وكانت ديار القبائل العربية في أكثر من إقليم وقسم من أقسام بلاد العرب متجاورة ومتداخلة ومختلطة بعضها ببعض، ذكر الهمداني^(٥٢) في حديثه عن الخضرمة عاصمة اليمامة وهي : جو الخضارم أنها مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف، وهي دار بني عدي وبني عامر بن حنيفة ودار عجل بن لجيم وديار هوزة بن علي السحيمي الحنفي، وهي أول اليمامة من قصد البحرين . فهذا يدل على أن تلك القبائل كانت على اتصال مستمر مع البحرين وعربها من أبناء القبائل العربية بحكم التجاور وما يتبع ذلك من مصالح مشتركة، ضمن ديار العرب الواحدة . التي تقاسمت الاستقرار والرعي والعمل التجاري والمصالح الأخرى بين قبائلها المنتشرة في ربوعها .

وذكر السعدي في ديار بني سعد من تميم : الظهران والاحساء (إقليم) وكان بها بنو سعد من تميم^(٥٣) . ويعني ذلك أن الظهران كانت مدينة من مدن البحرين، وتقع اليوم غرب مدينة (الخب) السعودية الساحلية على بعد عشرة كيلومترات منها .

عرفت واحة يبرين بأنها من ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وأطلق اسم يبرين على الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي نسبة إلى تلك الواحة الواقعة على ذلك الطرف، كما يطلق على هذا الجزء أيضاً : رمل بني سعد نسبة إلى قبيلة بني سعد بن زيد مناة بن تميم، التي سكنت تلك المنطقة، وامتدت ديارها إلى قطر وعمان والساحل الغربي للخليج العربي حتى البصرة^(٥٤) .

وذكر الهمداني منازل بني تميم دون تحديد بطونها، وهي : النقار وكاظمة ومسلحة والنقيرة والسودة ووادي أبي جامع والجاشرية والقرنتان وهي ضمن أرض البحرين^(٥٥)، ونرجح أن هذه المنازل كانت في بادية البصرة التي تمتد وتتداخل مع أرض البحرين، وهي منازل تميم المشهورة .

المحور الاقتصادي

تشكل الحياة الاقتصادية عصب النشاط البشري للسكان في أي مجتمع وخلال العصور التاريخية المختلفة، إذ لا بد من توافر الأرض أي الوطن الذي يستقر فيه السكان، ويمارسون نشاطهم الحياتي اليومي الذي يوفر لهم أسباب العيش واستمرار الحياة، فالإقتصاد هو عصب الحياة لكل المجتمعات، ومن المؤسف أن المصادر الجغرافية لم تعن كثيراً في وصف الحياة الاقتصادية في البحرين ولم تزودنا إلا بمعلومات مقتضبة وموجزة لبعض أوجه النشاط الاقتصادي، ومع ذلك توجد نصوص ذات أهمية في إعطاء صورة موجزة عن ذلك النشاط الذي مارسه سكان البحرين خلال المدة موضوع البحث .

التجاري مع مختلف أنحاء العالم والاختلاط بمجتمعاتها المتنوعة .

اشتهرت البحرين بعدد من الموانئ في ساحل هجر مدينة البحرين الكبرى، أي عاصمتها، وعرفت بأنها : أعظم مدن البحرين - كما ذكرنا، منها العقير وهي فرضة أي ميناء العين وعمان والبصرة واليمن على ساحل البحر، أي ساحل الخليج العربي، ثم الزارة وهي فرضة أي ميناء من موانئ الخليج العربي^(٥٣)، وهذا يعني وجود العديد من الموانئ التابعة للبحرين، وهي ذات نشاط

لقد كان لموقع الخليج العربي عموماً وصلاته مع العالم، وموقع البحرين خصوصاً على الخليج العربي، أهمية متميزة انعكست على تاريخ البحرين خلال العصور الإسلامية، لأنه يمتد من كاظمة شمالاً إلى عمان جنوباً بمحاذاة سواحل الخليج العربي الغربية، وهي السواحل الشرقية لشبه جزيرة العرب، وكان لهذا الموقع أثره المتميز في قيام الموانئ والفرض التي مارست نشاطاً تجارياً مع مختلف دول العالم، وكان لذلك النشاط مردوده الاقتصادي في تطور تلك الموانئ وتوسعها وممارستها النشاط

تجاري متميز يوفر للبحرين الكثير من
الواردات المالية .

ويشير الهمداني^(٥٤) إلى موانئ
البحرين فيبدأ بهجر مدينة البحرين
العظمى، وهي سوق بني محارب من
عبد القيس، والقطيف وهي قرية عظيمة
الشأن وساحل ثم العقير من دونه وهو
ساحل وقرية دون القطيف ثم السيف
سيف البحر ولعله سيف أي ساحل
الخط، وهو يبعد عن جزيرة أوال مسيرة
يوم، أي مرحلة تقريباً، وهي تساوي ٦
فراسخ، أي حدود ٣٦ كيلومتراً لأن
اليوم والمرحلة متساويان عند
الجغرافيين^(٥٥) .

عرفت الأسواق في البحرين،
واشتهرت كثير من كورها ونواحيها
بوجود الأسواق فيها، ولا شك أنها كانت
مراكز تجارية تميزت بنشاطها
الاقتصادي من البيع والشراء والمعاملات
الأخرى، ورد وصف هجر مدينة
البحرين العظمى على أنها من أسواق
العرب القديمة^(٥٦)، وهي سوق بني
محارب من عبد القيس ومنازلها ما دار
بها من قرى البحرين^(٥٧) ووصف ابن
الفقيه^(٥٨) معاملات أهل هجر بقوله :

"وأهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى
جميع الدار بمصورها أي بحدودها" .

ومن أسواق البحرين : الاحساء
وهي منازل ودور لبني تميم، وكان
سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتباع
عليه العرب^(٥٩) . ثم الستار ويعرف ب :
ستار البحرين في الطريق من هجر إلى
البصرة، وهو منادى بني تميم فيه متصلة
البيضاء^(٦٠)، وعرفت المشقر بمنطقة
الاحساء بسوقها قديماً .

عرفت البحرين بمنتجاتها الزراعية
خاصة، وأبرزها التمر، فقد اشتهرت
الكثير من نواحيها وقراها بكثرة النخيل
ووفرة أنواع جيدة من التمر، وأفاض
الجغرافيون بذكر تلك المناطق وشهرتها
بكثرة النخيل، في مقدمتها هجر البحرين
التي أصبحت اسماً شاملاً للبحرين فمن
مناطقها المشهورة بالنخيل وإنتاج التمر
القطيف وهو موضع نخل وقرية عظيمة
الشأن، ثم العقير وهو ساحل وقرية وبه
نخل ثم الستار وهو ستار البحرين وكان
بها نخل، ومن مياه ستار البحرين ثيتل
والنباج والنباك وكل فيه نخل كثير وماء
يقال له قطر، والنباج بلاد كثيرة القرى
وتسمى : نباج بني عامر، وهي عيون
تنبع بالماء ونخيل وزروع^(٦١) .

وصف المقدسي^(٦٢) الاحساء - وهي
قصة هجر وتسمى البحرين، بأنها
كبيرة كثيرة النخيل أهلة معدن الحر
والقحط، ولا شك أن هذا الوصف يوضح
لنا أن الاحساء كانت عاصمة هجر
ومركزها الإداري وسميت البحرين
فأصبح اسمها هو الغالب على تسمية
البحرين، وشبه المقدسي بعض مدن
عمان بمدينة هجر لقربها منها، مثل
حفيت التي وصفها بأنها كثيرة النخيل
من نحو هجر، الجامع في الأسواق، ودبا
وجلفار وهما من نحو هجر قريبتان من
البحر. وتشتهر عمان ومدنها الكثيرة
بوفرة التمور وهي بذلك تشابه مدن
البحرين في هذا المجال ومنها هجر.

والمشقر بالبحرين نحو هجر وبه
نخل لا يبرح الماء في أصوله^(٦٣)، والمشقر
من مدن البحرين الشهيرة.

اشتهرت الزارة وهي ميناء على
الساحل الغربي للخليج العربي بكثرة
النخيل ووصفت مصادر غلتها بأنها من
النخيل والسمك، كما وصفت الغيل
بأنها منبر لبناني جعدة، وهي وادٍ من
نخل، اشتهرت بشدة الحرارة، وبها تمر
يحمل إلى مكة يقال له الصفري، كان

يتحمل النقل في البحر لصلابته، وصف
بأنه: "في الصيف يمزغ مثل الكندر
وفي الشتاء ينشق كالزجاج".

قال الشاعر:

كانها لما تولت تزمر

نخل من الصفري دوح موقر^(٦٤)

ووصف الهمداني^(٦٥) الصفري بأنه
سيد التمور، وذلك أنه يغرق في البحر
فيما سائر التمران ما خلا الصفري،
ويعد أنواع التمور المنتجة في الفلج وهو
حفر الباطن، ومنها البرني وصفه بأن له
إهالة وجميل.

وعن يمين البحرين ودونها يبرين
والخن موضع فيه نخل كثير لبناني
ودعة، ويبرين نخل وحصون وعيون
جارية وغير جارية وسباح^(٦٦)، وترتبط
يبرين - الواقعة شرقي اليمامة وهي على
محجة عمان إلى مكة - بطريق إلى اليمامة
وإلى البحرين في رمل، وهي أرض
منقطعة بين الرمال وهي ذات نخل كثير
من الصفري والبرني وذات زرع
قليل^(٦٧)، وضرب المثل في يبرين لبعدها
حتى قيل: "لست بمعجز لنا ولو بلغت
الشحر ولو حالت دونك يبرين"^(٦٨).

والمدينة المنورة وخيبر والأحواز وفارس
وكرمان^(٧٢) .

حدد ابن الفقيه^(٧٣) مناطق إنتاج
التمر في بلاد العرب بقوله : "وريف
الدنيا من التمر ما بين اليمن إلى البصرة
وهجر" .

تشكل التمر أهمية في وطننا
العربي الكبير وتشتهر كثير من أقطاره
بتمورها، ونظراً لما تشكله هذه الثروة
التي حباها الله سبحانه وتعالى من أهمية
وقيمة، فقد أصبحت للنخلة مكانة
متميزة في تراثنا العربي الإسلامي، إذ
ورد ذكرها في القرآن الكريم والحديث
النبي الشريف، روى لنا المقدسي^(٧٤)
حديثاً مشهوراً ومتداولاً يبين لنا مكانة
النخلة والعناية بها من قبل المسلمين
لأنها نعمة من نعم الله التي أكرمنا بها،
إذ يقول : "حدثنا القاضي الحسن بن
عبد الرحمن بن خلاد قال حدثنا موسى
بن الحسين قال حدثنا شيبان بن فروخ
قال حدثنا مسرور بن سفيان التميمي عن
الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن
أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله
ﷺ : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت
من الطين الذي خلق منه آدم وليس من

وضرب المثل في البعد كذلك
بخصوص صنعاء، حتى قيل : لا بد من
صنعا وإن طال السفر، وعلى الرغم من
بعد يبرين ووصفها بوقوعها في منطقة
منقطعة بين الرمال، فقد حباها الله
سبحانه وتعالى بنعمة وفيرة من التمر
الجيدة المشهورة - كما ذكرنا - وهي :
الصفري والبرني كما وجدت فيها زراعة
يسيرة اعتمدت على مياه العيون التي
وفرت لها المياه .

لقد اشتهرت البحرين بتمورها
فكانت هجر أكبر أعمال البحرين وهي
أكثر تموراً^(٦٩)، وذكر ابن خرداذبة شهرة
البحرين بوجود النخيل^(٧٠)، ويقول :
"ولهم بُسر يسمى النابجي إذا انتبذ
وشرب غير عرقه البياض حتى
يصفر"^(٧١) .

تميزت البصرة بشهرة خاصة لكثرة
نخيلها وأنواع تمورها . ذكر الجاحظ
إجراء إحصاء لأصناف نخل البصرة في
أيام الخليفة المعتصم بالله العباسي،
فبلغت ثلاثمائة وستين ضرباً من مغل
معروف وخارجي موصوف وبديع غريب
مع طيب عجيب، هذا باستثناء نخيل
الكوفة ومصر واليمامة والبحرين وعمان

الشجر شجرة تلقح غيرها، وأطعموا نساءكم إذا ولدن الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر . . . الحديث".

لم تزودنا المصادر الجغرافية بمعلومات كافية حول الزراعة والمنتجات الزراعية، وصف الاصطخري جزر الخليج العربي وهي لافت وخارك وأوال وغيرها من الجزائر المسكونة، بقوله^(٧٥): "وبها مياه عذبة وزرع وضرع"، دون أن يحدد أنواع المزروعات والحيوانات فيها، في حين وصف ابن خرداذبة^(٧٦) مدينة البحرين بأنها تقع على شط العرب وأهلها لا زرع لهم ولهم نخل وإبل . ولعله قصد بتلك المدينة جزيرة أوال الجزيرة الرئيسية في أرخبيل البحرين .

أما ما يتعلق بالحيوانات والثروة الحيوانية فالمعلومات عنها قليلة ومقتضبة لا تعدو إشارات محدودة، ذكر الهمداني^(٧٧) أن جزيرة أوال في وسط الخليج العربي وفيها جميع الحيوان كله إلا السباع . وكانت الجمال من الحيوانات التي استخدمها العرب في الصحراء لنقل أمتعتهم وكذلك في نقل البضائع التجارية عبر الصحراء على

طرق القوافل، ذكر ابن خرداذبة^(٧٨) في وصف أهل البحرين أنهم لا زرع لهم ولهم نخل وإبل، قال أعرابي :

رمى به في موحش القفار
بساحل البحرين للصفار

وذكر ابن الفقيه^(٧٩) أن المسافة بين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوماً كانت تقطع على الإبل . التي عرفت بـ : سفينة الصحراء، وهي تتحمل العطش ومصاعب الطرق خصوصاً الصحراوية منها . وكان أهل البحرين يعتزون بجمالهم ويعتنون بتربيتها ويهتمون بالأصيلة منها، التي يبلغ ثمنها سعراً عالياً، نقل لنا ابن الفقيه^(٨٠) حكاية عن أناس لم يذكر اسمهم بهذا الخصوص، إذ يقول : "قال بعضهم : قدمنا البحرين فلحقنا أعرابي على ناقه له صغيرة قد أكل الجرب جنبها ومعنا إبل لم ير الناس مثلها، فقلنا يا أعرابي أتبيع ناقتك ببعض هذه الإبل قال والله لو أعطيتوني بها جميع إبلكم كلها ما بعتمكم، قلنا فلك مائة دينار فأبى فقلنا ألف دينار فأبى، ونحن في كل ذلك نهزأ به، فقال لو ملأتم جلدها ذهباً ما بعتمكم . قلنا فأرنا من

سيرها شيئاً قال نعم فسرنا فإذا نحن بحمير وحش قد عثت فقال أي الحمير تريدون أعرضه لكم فقلنا نريد غير كذا فغمزها ثم زجرها فمرت ما يرى منها شيء حتى ألحقت الحمير ثم تناول قوسه فرمى فلم يخط الحمار فلم يزل يرشقه حتى صرعه ولحقناه وقد ذبحه، فلما رأينا ذلك ساومناه بجد، فقال ليس عندي من نسلها إلا ابن لها وابنة ولا والله لا أبيعها أبداً بشيء".

وتدلنا هذه الحكاية على اعتزاز أهل البحرين بإبلهم الأصيلة وعدم المساومة على بيعها مهما كانت المغريات المادية كبيرة.

وكان للآبار الواقعة على طرق القوافل التي تستخدم الإبل أهمية كبيرة، لأنها تشرب المياه منها، وكذلك الآبار الأخرى المنتشرة بين قرى البحرين، ذكر الهمداني^(٨١) بئر النقيير بناحية البحرين التي يجتمع عليها كثير من رواد العرب، وربما سقى عليها عشرة آلاف بعير.

ويشكل اللؤلؤ ثروة كبيرة عمل فيها كثير من السكان، لأن اللؤلؤ معدن يتوفر في الخليج العربي حصراً^(٨٢)، وتحدث

المقدسي^(٨٣) عن المعادن وخصوصاً اللؤلؤ في إقليم ديار العرب، وحدد أماكن وجوده بحدود هجر يغاص عليه في البحر بإزاء أي حول جزيرتي أوال وهي جزيرة البحرين الكبرى وخارك (خرج).

يحدد المسعودي^(٨٤) موسم الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي، إذ يبدأ من أول شهر نيسان ويستمر إلى أواخر شهر أيلول، وليس هنالك غوص في بقية أشهر السنة، ويؤكد أن اللؤلؤ يوجد فقط في الخليج العربي ولا يوجد في البحار الأخرى، وذكر مواضع وجوده في المحيط الهندي الذي سماه: البحر الحبشي، لأن الخليج العربي هو فرع من ذلك المحيط، واللؤلؤ في بلاد خارك وقطر وعمان.

ومن المعادن الأخرى ذات المردود الاقتصادي الملح، وقد أشار الهمداني^(٨٥) إلى المناطق المشهورة بالملح، وهو ملح الحاجر وملح المطلية وملح القصيبة وفي رؤوس الجبال ملح نحيت أحمر عروق وهذه ملحاحات أهل نجد، وهنالك أيضاً ملح يبرين وملح بناحية البحرين. ولم يحدد موقع الملح في ناحية البحرين، في حين أن يبرين معروفة وهي جزء من

البحرين وتقع شرقي اليمامة - كما ذكرنا - ووصفت بوجود عيون جارية وسباح فيها^(٨٦).

وتشكل التجارة والتبادل في البضائع بين البحرين والمناطق المجاورة لها، جزءاً من النشاط الاقتصادي القائم على المصالح المتبادلة، ولدينا من النصوص القليل جداً حول التبادل التجاري والعلاقات التجارية، ذكر العربي^(٨٧) في حديثه عن الغيل وهو أحد منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، إنه وادي كثير النخل، اشتهر بتمره المسمى : الصفري، وكان يصدر إلى مكة المكرمة، واشتهر هذا النوع بجودته - كما ذكرنا - وتحمله النقل في البر وفي البحر لصلابته، وهو نوع من التمر الملائم للغذاء في الصيف وفي الشتاء .

كانت صلات بغداد عاصمة الخلافة العباسية واسعة في المجال التجاري والعلمي مع مختلف أرجاء العالم خصوصاً ديار العرب والمناطق المجاورة لها، والمعروف أن الخليفة المنصور بنى لبغداد أربعة أبواب، وبنيت المدينة مدورة، ويوضح ابن الفقيه^(٨٨) أهمية التدوير وتوزيع الأبواب الأربعة

على المدينة المدورة، فمن يقصدها في المشرق يكون دخوله إليها من باب خراسان ومن يقصدها من الحجاز يدخل من باب الكوفة، ومن جاء من المغرب دخل من باب الشام، أما القادمون إلى بغداد من البصرة وواسط واليمامة والبحرين وعمان والأحواز وبلاد فارس، فإن دخولهم إليها يتم من باب البصرة .

ونستدل من هذا الوصف على أن دخول أهل البحرين وأجزاء الخليج العربي الأخرى إلى بغداد كان من باب البصرة إحدى أبوابها الأربعة، مما يدل على قيام صلات بين بغداد والبحرين وبقية مناطق الخليج العربي .

ومن الجدير بالذكر أن البحرين تقع على طريق التجارة الذي يصل البصرة مع جنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا^(٨٩)، وكانت بلاد الخليج العربي ومنها البحرين علي اتصال دائم مع هذه المناطق، خصوصاً في مجال الرحلات البحرية والتبادل التجاري، ووصف لنا المسعودي^(٩٠) دور عرب الخليج خصوصاً الأزد من أهل عمان في الرحلات البحرية التي لا تخلو من المخاطرة والصعاب الكثيرة في البحار، وكانت تلك الرحلات

تبدأ من عمان على سواحل المحيط الهندي في ميناء صحار خاصة لتنتهي إلى بلاد سفالة والواق واق في أقاصي أرض الزنج، ويقطع هذا البحر أهل سيراف وأهل عمان، وذكر المسعودي أنه ركب عدة من البحار مثل بحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن، كان أكثرها هولاً بحر الزنج، الذي سافر فيه من عمان مع نواخذة السيرافيين . أما آخر رحلة له فكانت من جزيرة قنبلو إلى عمان عام ٣٠٤هـ/ ٩١٧م في عهد أمير عمان أحمد بن هلال . وكان يدل على وجود صلات ونشاط تجاري بين منطقة الخليج العربي وتلك الأرجاء، وكانت البحرين على طريق تلك الرحلات في ذهابها وإيابها من البصرة إلى بلاد الزنج وإلى الصين والشرق الأقصى، وكذلك عند عودة تلك الرحلات من هناك إلى البصرة، وإلى ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي، فضلاً عن الرحلات إلى ساحل شرق أفريقيا وسفالة الزنج، ومنها رحلة المسعودي من عمان إلى ذلك الساحل مع أصحاب المراكب السيرافيين، وآخر رحلاته من جزيرة قنبلو وهي مدغشقر إلى عمان .

أما بخصوص الموارد والأموال التي كانت ترد البحرين، فإن المصادر الجغرافية لم تزودنا إلا بإشارات سريعة وعابرة عنها، ففي رواية^(٩١) أن العلامة بن عبد الله بن حماد الحضرمي بعث في السنة العاشرة للهجرة، وهي سنة حجة الوداع بمال من البحرين مقداره ثمانون ألف درهم، ووصل ذلك المال إلى رسول الله ﷺ، وهو أول مال حمل إلى المدينة المنورة، وأمر الرسول ﷺ بتوزيعه على الناس . وتواصل الرواية تزويدنا بمعلومات حول وصول وفود العرب إلى المدينة وعرض إسلامها على الرسول ﷺ بعد فتحه مكة المكرمة، ونرجح أن ذلك كان عام ٩هـ/ ٦٣٠م، وهو العام الذي عرف بـ : عام الوفود، ولعل الأموال الواصلة من البحرين كانت في العام التالي له وهو عام ١٠هـ/ ٦٣١م .

وزودنا لفدة الأصفهاني^(٩٢) بمعلومات مهمة حول عمل اليمامة، أي امتدادها الإداري والمالي وما يتعلق بالمناطق التي كانت تجبى منها الأموال وترد إلى اليمامة، ومنها البحرين . والغريب أن البحرين كانت مستقلة تماماً عن اليمامة حيث تشكل الأخيرة الحدود

الغربية للبحرين، فضلاً عن أن اليمامة كانت لها إدارتها المستقلة متخذة من عاصمتها (حجر) مركزاً لها، وهي المدينة التي قامت على أنقاضها اليوم مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، واليمامة وادٍ، والمدينة به تسمى : الخضرمة مشهورة بكثرة النخيل والتمور، وقبائلها التي استقرت فيها من ربيعة ومضر، ثم نزلها بنو الأخيضر^(٩٣).

ذكر لغدة الأصفهاني بخصوص اليمامة أن جابيتها يجبي بجوف المربد، وهو مربد البصرة السوق المعروف الذي خلدت كتب الأدب والشعر ذكره، وجابيتها يجبي البحرين، أي أن الأموال ترسل من البحرين إلى اليمامة، ولا يحدد لنا الأصفهاني السنة أو العصر الذي تمت فيه تلك الجباية، كما لم يذكر لنا اسم الأمير أو الوالي الذي تمت الجباية في عهده . وبخصوص منبر الاحساء - أحساء هجر - وهو المركز الإداري ومكان إقامة صلاة الجمعة، كانت الخطبة في هذا المنبر تتم لصاحب اليمامة، لأن والي الاحساء كان معيناً من قبل عامل اليمامة، كذلك امتدت جباية

ذلك الوالي (الذي لم يذكر اسمه) إلى جبلي طيء، وذلك لأن جميع قبائل قيس عيلان بن مضر بن نزار تجمع الأموال وتكون جبايتها إلى اليمامة ما عدا بني كلاب، فإن جبايتهم ترسل إلى المدينة المنورة، وأما عقيل والعجلان وقشير ونمير وفهم وباهلة وكل قيس فألى اليمامة، وكذلك جميع بني سعد وضبة والرباب والحزن، حزن بني يربوع، وغير بني يربوع، فإن جبايتهم إلى اليمامة^(٩٤).

ويتضح لنا أن أموالاً طائلة كانت تجبى وتجمع وترسل إلى اليمامة، من قبائل قيس عيلان وغيرها من مضر، فضلاً عن جباية الأموال من البحرين والاحساء .

وإبان سيطرة القرامطة على البحرين وامتداد سيطرتهم إلى البصرة واحتلالهم مكة المكرمة وقطعهم طريق الحج والطرق التي تربط مكة المكرمة والمدينة المنورة مع البلدان المجاورة، زودنا ابن حوقل^(٩٥) بمعلومات فريدة وغاية في الأهمية حول الأموال التي ترد إلى ديار العرب، أي التي تصل إلى سلاطينها وملوكها وأربابها وأصحاب

أطرافها، ومن جملتهم أهل البحرين، فذكر البحرين ومدنها وهي : هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال، والأخيرة جزيرة البحرين الكبرى التي اقترنت باسم البحرين الاسم القديم لبلاد البحرين جميعاً، ووصف أوال بأنها جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، وكانت حتى عصر ابن حوقل تحت تصرف ذريتهما البالغ عددهم نحو أربعمائة نسمة بين رجل وامرأة .

حدد ابن حوقل أيضاً مقدار الأموال والعشور التي كانت تجبى من البحرين أيام سيطرة القرامطة، إذ يقول : "وبها أموال وعشور ووجوه ومرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلى ما يصل إليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل . . . ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار، وماعدا ذلك من المال والأمر والنهي والحل والعقد وما كان يصل إليهم من طريق مكة ومال

عمان، وما وصل إليهم من الرملة والشام . . . " .

وهكذا يوضح لنا هذا النص مقدار الأموال الطائلة التي كانت تمثل ثروة البحرين (الاحساء اليوم) الزراعية بوجه خاص، وكذلك أهمية جزيرة أوال (وهي البحرين اليوم) كمركز تجاري مهم، كما كانت هنالك أموال طائلة ترد إلى البحرين من الطرق التجارية البرية في بادية البصرة والكوفة وطريق مكة، وهي الأموال التي كانت تفرض على القوافل التجارية المحملة بالبضائع في هذه الطرق، كما كانت الأموال تصل قرامطة البحرين من عمان والرملة والشام، وبلغت جباية البحرين نحو ثلاثين ألف دينار، وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت، وهو عصر ابن حوقل في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

أوضح ابن حوقل كيفية تصرف حكام البحرين في الأموال الواردة إليهم، وهي الأموال السنوية، فيعزل الخمس لحاكم البحرين وثلاثة أخماس حصة إلى سعيد الجنابي القرمطي تعطى لولده وفق اتفاق مثبت تم مسبقاً، أما الخمس الباقي فهو للسنابرة وهم من الفرس الذين

حكموا البحرين بعد موت أبي سعيد الجنابي وولده الحسن، وكان المال يسلم إلى أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر ليفرقه في ولد أبيه وولده وهم بحدود عشرين رجلاً^(٩٦).

ويروي لنا ابن حوقل^(٩٧) أيضاً حكاية سمعها بعد عام ٣٥٠هـ/٩٦١م حول حكام البحرين وتصرفهم في الأموال الواردة إليهم ومصادرها ومقدارها وكيفية توزيعها، تدل دلالة واضحة على كثرة تلك الأموال وضخامتها، مما يوضح لنا أن البحرين كانت تتمتع بمكانة اقتصادية متميزة وثراء وفير، إذ يقول : "إن سادتهم يتوزعون من مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجاج، ويرد عليهم من مال عمان والغنائم دون الخمس الخارج عنهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار، وربما زادت المائة والمائتي ألف دينار".

زودنا المقدسي^(٩٨) بمعلومات مهمة حول خزائن القرامطة التي تشير إلى اتخاذ بعض المدن مراكز إدارية لحفظ الأموال وتوزيعها، وهي الاحساء التي وصفها بأنها قسبة هجر أي عاصمتها ومركزها الإداري، إذ يقول : "وبها

مستقر القرامطة من آل أبي سعيد ثم نظر وعدل غير أن الجامع معطل وبالقرب خزانة المهدي وخزائن أخر لهم أيضاً فبعض الأموال بتلك وبقيتهم في خزائهم"، ويذكر من خزائنهم الزرقاء والسابون - وهي من مدن هجر - وكذلك أوال وسائر المدن في البحر - أي الموانئ الواقعة على ساحل الخليج العربي - أو القربيات من البحر . وتمثل الاحساء والسابون والزرقاء وأوال مراكز إدارية اتخذها القرامطة فخزنوا فيها الأموال التي وزعوها على أتباعهم أو حفظوها فيها للإفادة منها عند الحاجة، ويلاحظ أن كثيراً من المدن الساحلية اتخذت مراكز لخزائن الأموال عند جبايتها وتجميعها .

انفرد قدامة بن جعفر الكاتب^(٩٩) بإيراد قائمة تتضمن مقدار الارتفاع (أي الخراج) لعدد من أعمال مملكة الإسلام على ما ثبت من عمل كان ابن المدبر نظمه للارتفاع عام ٢٣٧هـ/٨٥١م، فكان ارتفاع اليمامة والبحرين من العين خمسمائة ألف وعشرة آلاف دينار، في حين بلغ ارتفاع مقاطعة عمان من العين ثلاثمائة ألف دينار، ثم يقول : "فهذه

الأعمال في مملكة الإسلام والذي بيناه، من مبلغ الارتفاعات فعلى التوسط وما يرتفع بعض النواحي في هذا الوقت وينقص البعض نقصانا لا نلتفت إليه ولا نعمل عليه لأنه إنما وقع بقلّة الضبط وإضاعة الحزم والباقي الممنوع منه فهذه سبيله".

ونستنتج مما ورد في تعليق قدامة أن مقدار الخراج كان يزيد وينقص في بعض النواحي، ولا يثير النقصان في مقدار الأموال التي تجبى من الخراج اهتماماً كبيراً، بسبب قلة الضبط وإضاعة الحزم الذي بدأ ينتشر في مؤسسات الدولة العباسية الإدارية والمالية في ذلك الوقت.

إن المسألة المهمة التي تستدعي الوقوف والتأمل عند قائمة الخراج التي سجلها قدامة هي دمج موارد خراج اليمامة والبحرين عام ٢٣٧هـ، أي في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م، وكانت البحرين من حصّة ابنه المنتصر بالله، إذ قسمت أقاليم الخلافة العباسية بين أبنائه الثلاثة، وتولاها مروان بن الجنوبي. ثم أعاد المنتصر محمد بن

إسحاق إلى إدارة البحرين بعد توليه الخلافة ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م^(١٠٠)، إثر مقتل أبيه الخليفة المتوكل. ونرجح أن خراج اليمامة والبحرين دمج في قائمة واحدة بسبب اتفاق أبناء المتوكل على ذلك، ولا نستبعد أن ما ذكره لغدة الأصفهاني^(١٠١)

من أن موارد البحرين كانت تجبى من اليمامة تعود إلى هذه الفترة، فكانت جباية اليمامة واسعة جداً شملت البحرين ومربد البصرة وركبة ورمال اليمن قريباً من صنعاء، فضلاً عن جباية قبائل قيس عيلان، ولعل ما ذكره الأصفهاني ينطبق على ما سجله قدامة حول قائمة خراج اليمامة والبحرين.

عاد قدامة^(١٠٢) مرة ثانية ليسجل لنا قائمة عن خراج بعض أقاليم الدولة العربية الإسلامية وكما يلي:

اليمن ستُمائة ألف دينار

اليمامة والبحرين خمسمائة ألف

وعشرة آلاف دينار

عمان ثلاثمئة ألف دينار

لم تورد المصادر الجغرافية ذكراً لخراج البحرين، باستثناء ما ذكره

المقدسي نقلاً عن قدامة بن جعفر، وهذا يعني قائمته نفسها عام ٢٣٧هـ/٨٥١م إذ يقول^(١٠٣) : "وذكر قدامة بن جعفر الكاتب أن ارتفاع الحرمين مائة ألف دينار واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار وعمان ثلاثمائة ألف دينار".

إن عدم ذكر الجغرافيين معلومات حول موارد وخراج البحرين يجعل من المتعذر مقارنة الأرقام ببعضها البعض والاستنتاج عنها لعدم وجودها، ومع ذلك يمكننا القول أن الرقم الذي زدنا به قدامة وأكده المقدسي يمكن الاطمئنان إليه إلى حد كبير، إذ أن قدامة كان من المعنيين بالخراج والمهتمين به والمتأولين له وقد كرس كتابه للخراج وذلك واضح من عنوانه، كما أنه اعترف بأخذ المتوسط أي المعقول من مقدار الجبايات على وجه التقريب وليس على وجه الدقة المتناهية، ونستدل مما ذكره قدامة حول جباية خراج اليمامة والبحرين على ثراء الإقليمين، وذلك يعود إلى التجارة التي كانت تمر بهما، فضلاً عن الثروات الطبيعية والزراعة .

أما حالات القحط والجذب وارتفاع الأسعار والأزمات الاقتصادية التي مرت بها البحرين خاصة ومنطقة الخليج العربي عامة، فإن المصادر الجغرافية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين لم تولها أهمية وعناية، ولم تورد ذكراً لها، إما لعدم وقوعها وإما لعدم ميل الجغرافيين لإبراز مثل تلك الأمور السلبية، وربما ذكروا - أحياناً - حالات قديمة غير محددة ربما سبقت ظهور الإسلام، إذ أن حالات الجذب والقحط وقلة الماء والعشب وانعدام سقوط الأمطار وقلة الإنتاج الزراعي مع الكثرة المطردة في عدد السكان، كل هذه كانت دائماً الأسباب التي تقف وراء هجرات مستمرة قامت بها القبائل العربية في اليمن وشبه جزيرة العرب إلى منطقة الهلال الخصيب والخليج العربي، خصوصاً هجرة الأزد وغيرهم من القبائل العربية بعد انهيار سد مأرب، فضلاً عن النزاعات والثارات وغيرها من المشاكل التي كانت تؤدي إلى هجرة القبائل باستمرار .

انفرد الهمداني^(١٠٤) بنقل حكاية عن أبي الحسن الخزاعي، وكان يسكن

أرض نجد العليا وتوطن عروضها وخالط
أهل السراة وسمع من الجميع صدراً من
الأخبار القديمة، وتشير الحكاية إلى أن
الناس أصابتهم أزمة شديدة استمرت
سنة جرداء، سموها : سنة الجمود،
لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار
وذهاب الماشية وهزالها وثبات الغلاء
وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية
والآبار، وتسمى مثل تلك السنة بعدة
أسماء مثل : الحطمة والأزمة واللزبة
والمجاعة والرمد وكحل والقصر والشدة
والحاجز، فأقبل الناس بالضجة والتضرع
إلى بيت الله الحرام، من أرض نجد
وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسرورات
يدعون الله عز وجل بالفرج لهم
ويستسقون، أي يطلبون نزول المطر من
الله عز وجل، وكان في الوفد المستسقين
من أهل نجد شاعر يقال له الحزازة
العامري أنشد شعراً ذكر فيه آلاء الله عز
وجل ورحمته التي شملتهم وشملت
أرضهم بلداً بلداً ووادياً وادياً وجبالاً
جبالاً، فقال :

رب ندعوك فاستجب

فبك الدهر عن الخلق تكشف الغماء

إن أيوب حين ناداك
لم يحجب لأيوب رب عنك النداء
مسه الضر فاستجبت له
الدعوة لما به أضر البلاء
إن هذا الجمود للسنة
الشهباء والمصملة الدهياء
فأغننا إلهنا ولك الحمد
بغيث تجره الأنواء
ينعش الناس في السوارج
والوحش وتحيي الجديدة الغبراء
فلكم ثم كم رأيت غيوثاً
لك تقتادها الرياح الرخاء
سقي الشحر فالزبون فما
حازت ذوات القطيف فالأحساء
فاليمامات فالكلاب فبحرين
فحزوى تميم فالوعساء
فالنمارات فاللوى من أثال
فالعقيقان عليا فالجواء

وهي قصيدة طويلة في ٣٥ بيت
ضمنها ذكر كثير من ديار العرب
ومنزلهم في جزيرة العرب، واستجاب
الله سبحانه وتعالى فأنزل الغيث الذي
سقى أراضيهم في الشحر وعمان واليمامة
والبحرين وغيرها من المناطق، وقال
الشعراء قصائد عارضوا فيها قصيدة

بيت الله الحرام في مكة المكرمة
يتضرعون إليه عز وجل بالدعاء لإزالة
الغمة عنهم، فيستجيب لدعائهم وينزل
المطر مدراراً .

الهوامش

- ١ - التنبيه والإشراف ص ٧٨ .
- ٢ - مختصر كتاب البلدان ص ٢٧ ، وأشار الاصطخري إلى امتداد ديار مدين وقبائلها على الخليج العربي من عتوف اليمن إلى عمان والبحرين إلى عبادان . المسالك والممالك ص ٣١ .
- ٣ - ينظر بحثنا : الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد (٣٣) ، ١٩٩٨ .
- ٤ - ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٢٨ .
- ٥ - التنبيه والإشراف ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، وذكر في الصفحة ٢٤١ وقوع معركة ذي قار قبل الهجرة . وهذا هو الصواب .
- ٦ - المصدر نفسه ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
- ٧ - البلخي . صور الأقاليم ورقة ٧ ، الاصطخري . المسالك والممالك ص ٢٣ ، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨ .
- ٨ - صورة الأرض ص ٣٨ - ٣٩ .
- ٩ - الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ١٥٧ ، ٣١٩ .
- ١٠ - المصدر نفسه ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
- ١١ - صورة الأرض ص ٣٣ .
- ١٢ - جنابة : مدينة أكبر من مهروبان وهي فرضة (ميناء) لسائر فارس ، خصبة شديدة الحر ، من أبرز مدن كورة أرجان في كور بلاد فارس ، وهي مدينة ساحلية تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي ، تتصف بشدة حرها وبها نخيل وما يكون في الجروم (المناطق الحارة) من الفواكه . الاصطخري . المسالك والممالك ص ٣١ ، ٧٨ . وتعد جزيرة خارك من توابعها لأنها مضافة إلى جنابة . السعودي . مروج الذهب ج ١ / ١٢٦ .
- ١٣ - الاصطخري المسالك والممالك ص ٩٠ ، السعودي . التنبيه والإشراف ص ١٠٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .
- ١٤ - المقسي . أحسن التقاسيم ص ٩٣ - ٩٤ .

- ١٥ - الاصطخري . المسالك والممالك ص ٢٣ ، ابن حوقل صورة الأرض ص ٣٨ ، المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١٠٤ ، وذكر امتداد سيطرة القرامطة إلى الأحقاف .
- ١٦ - صورة الأرض ص ٣٤ .
- ١٧ - الحديثي . البحرين ص ٣٦ - ٣٧ .
- ١٨ - ابن حوقل صورة الأرض ص ٣٣ .
- ١٩ - صور الأقاليم ورقة ٧ ، الحديثي . البحرين ص ٣٦ .
- ٢٠ - كتاب البلدان ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .
- ٢١ - ابن خرداذبة . المسالك والممالك ، وجعل ذلك من عجائب طبائع البلدان .
- ٢٢ - مختصر كتاب البلدان ص ١١٨ .
- ٢٣ - المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٩٥ ، الحديثي . البحرين ص ٣٣ .
- ٢٤ - نحن لا نتفق إطلاقاً مع بعض الجغرافيين حول ما ذكروه من معلومات مشوشة حول سكان البحرين ومجتمعها ، وهي لا تشكل أبداً حقائق ثابتة بقدر ما هي مجرد تصورات ووجهات نظر أطلقت بتسرع وبدون تدقيق ، وربما تنطبق على بعض المناطق النائية والمعزولة المنقطعة في البوادي المقفرة . أنظر : ابن خرداذبة . المسالك والممالك ص ٦٠ حول أهل مدينة البحرين ، ابن الفقيه الهمداني . مختصر كتاب البلدان ص ٩٢ ، نقلاً عن ابن القرية حول رجال البحرين ، كما روى ابن خلكان عن ابن القرية أيضاً محاورة مع الحجاج الثقفي حول صفات الناس والأرضين . فقال ابن القرية عن أهل البحرين : نبط استعربوا . حبيب علي . ابن القرية ص ٦٢ .
- ٢٥ - المسالك والممالك ص ٢٥ ، أنظر أيضاً : ابن حوقل . صورة الأرض ص ٤١ (مع بعض الاختلاف) .
- ٢٦ - المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٠ - ٦٢١ .
- ٢٧ - مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ - ٣١ .
- ٢٨ - صفة جزيرة العرب ص ٢٨١ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ص ٢٧٩ .
- ٣٠ - ذكر المسعودي سيطرة بني مسمار على القطيف ، أيام سيطرة أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي الجنابي فكان بها علي بن مسمار وأخوته وهم من عبد القيس . التنبيه والأشراف ص ٣٩٢ ، وذكر أيضاً أن جماعة من بني مسمار كانوا يسكنون جزيرة أوال مع بني معن وخلائق كثيرة من العرب . مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٢٦ .
- ٣١ - التنبيه والأشراف ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .
- ٣٢ - صفة جزيرة العرب ص ٣٦٧ .

- ٣٣ - مختصر كتاب البلدان ص ٢٨ . وذكر الهمداني أن ديار تغلب الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاة .
صفة جزيرة العرب ص ٣١٩ ، وأما بادية الجزيرة فإن بها أحياء من ربيعة واليمن وأكثرهم كلب
اليمن . ابن حوقل . صورة الأرض ص ٤١ .
- ٣٤ - الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣١٩ .
- ٣٥ - المصدر نفسه ص ٣٧٢ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ص ٣٩٦ .
- ٣٧ - المسعودي . التنبيه والأشراف ص ٣٩٢ .
- ٣٨ - الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣١١ ، ويصف يبرين بأنها شرقي اليمامة ، وهي على محجة
عمان إلى مكة ، ولها طريق إلى اليمامة وإلى البحرين في رمل .
- ٣٩ - المسعودي . مروج الذهب ج ١٢٦/١ .
- ٤٠ - المسالك والممالك ص ٢٥ ، صورة الأرض ص ٤١ .
- ٤١ - الحربي . المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٠ - ٦٢٢ ، والقلعة لأحمد بن سلم العبدى وبها منبر
وهي مدينة كبيرة يسكنها بنو سعد ، والمملكة لعبد القيس . المصدر نفسه ص ٦٢١ .
- ٤٢ - المسالك والممالك ص ٢٤ .
- ٤٣ - الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٢٨١ .
- ٤٤ - المصدر نفسه ص ٢٧٩ .
- ٤٥ - بلاد العرب ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .
- ٤٦ - المصدر نفسه ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .
- ٤٧ - المصدر نفسه ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
- ٤٨ - ذكر الهمداني أن (رمد) من الفلج من أرض اليمامة ، وهي في دو من الأرض أي قاع . صفة جزيرة
العرب ص ٣١٢ ، ومن مدن اليمامة الكبرى : (جو) وهي الخضرمة مسيرة يوم وليلة من (حجر)
عاصمة اليمامة . المصدر نفسه ص ٣٠٧ ، وهي أول اليمامة من قصد البحرين . المصدر نفسه
ص ٢٨٢ . و(جو) تعني : الارتفاع عن الأرض .
- ٤٩ - التنبيه والأشراف ص ٣٩٣ .
- ٥٠ - الغنيم . أقاليم الجزيرة العربية ص ٨٠ .
- ٥١ - صفة جزيرة العرب ص ٣١٧ .
- ٥٢ - المصدر نفسه ص ٢٨٢ ، الجاسر (محقق) كتاب المناسك للحربي ص ٦١٧ هامش .

- ٥٣ - الحربي . المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٠ - ٦٢١ .
- ٥٤ - صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ . وللقطيف مدينة على الساحل اسمها : عُنْكَ . المسعودي . التنبيه والأشراف ص ٣٩٤ .
- ٥٥ - دكسن . عمان ص ٣٩٢ . عن المرحلة راجع هامش (١٥١) في الحلقة الأولى بالعدد الماضي .
- ٥٦ - الهمداني . صفة ص ٣٣٢ .
- ٥٧ - المصدر نفسه ص ٢٧٩ .
- ٥٨ - مختصر كتاب البلدان ص ٥٧ .
- ٥٩ - الهمداني . صفة ص ٢٨١ .
- ٦٠ - المصدر نفسه ص ٢٨٠ .
- ٦١ - المصدر نفسه ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
- ٦٢ - أحسن التقاسيم ص ٩٣ .
- ٦٣ - الهمداني صفة ص ٣٣٠ .
- ٦٤ - الحربي . المناسك ص ٦٢١ - ٦٢٢ .
- ٦٥ - صفة ص ٣٠٧ .
- ٦٦ - المصدر نفسه ص ٢٨١ . يقول المسعودي عن يبرين : "وكانت من أطيب بلاد الله وأكثرها أهلاً وعمائر ونخلاً وشجراً" . التنبيه والأشراف ص ٣٩٤ .
- ٦٧ - المصدر نفسه ص ٣١١ .
- ٦٨ - المصدر نفسه ص ٣٦٥ .
- ٦٩ - ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨ . وذكر الضياع التي يكثر فيها النخل . نفسه ص ٣٣ .
- ٧٠ - المسالك والممالك ص ٦٠ .
- ٧١ - المصدر نفسه ص ١٧١ .
- ٧٢ - ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٢٥٣ ، أنظر عن البصرة وتمورها . الجاحظ . البلدان ص ٥٠٤ .
- ٧٣ - المصدر نفسه ص ١١٤ . وذكر الحربي أن النبوك هو منبت النخل إلى البحرين . المناسك ص ٥٣٦ .
- ٧٤ - أحسن التقاسيم ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٧٥ - المسالك والممالك ص ٣٠ .

- ٧٦ - المسالك والممالك ص ٦٠ . وذكر ابن حوقل توافر الثمار ومزارع الحنطة والشعير في البحرين . صورة الأرض ص ٣٣ .
- ٧٧ - صفة جزيرة العرب ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
- ٧٨ - المسالك والممالك ص ٦٠ .
- ٧٩ - مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
- ٨٠ - المصدر نفسه ص ٣٨ .
- ٨١ - صفة جزيرة العرب ص ٣٠٩ .
- ٨٢ - الاضطخري . المسالك والممالك ص ٣٠ .
- ٨٣ - أحسن التقاسيم ص ١٠١ .
- ٨٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١/١٦٨ .
- ٨٥ - صفة جزيرة العرب ص ٣٠١ .
- ٨٦ - المصدر نفسه ص ٢٨١ .
- ٨٧ - المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٢ .
- ٨٨ - بغداد مدينة السلام ص ٣٥ .
- ٨٩ - المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٩٨ ، وقد تحدث عن التجارات في إقليم جزيرة العرب وأوضح الصلات بينه وبين العالم وتحدث عن رحلاته . المصدر نفسه ص ٩٧ - ٩٨ .
- ٩٠ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١/١٢٢ - ١٢٣ .
- ٩١ - السعودي . التنبيه والأشراف ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- ٩٢ - بلاد العرب ص ٣٢٥ . أنظر عن مدينة حجر : الحميدان . العصفوريون ص ١٠٠ .
- ٩٣ - ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨ ، وذكر المقدسي أن اليمامة ناحية قصبتهما الحجر ، ووصفها بأنها بلد كبير جيد التمور يحيط به حصون ومدن منها الفلج . أحسن التقاسيم ص ٩٤ .
- ٩٤ - بلاد العرب ص ٣٢٦ - ٣٢٧ . وحجر سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة . المصدر نفسه ص ٣٥٧ .
- ٩٥ - صورة الأرض ص ٣١ ، ٣٣ .
- ٩٦ - المصدر نفسه ص ٣٣ .
- ٩٧ - المصدر نفسه ص ٣٤ .
- ٩٨ - أحسن التقاسيم ص ٩٣ - ٩٤ .

- ٩٩ - الخراج وصناعة الكتابة ص ٢٤٩ .
١٠٠ - اليزيكي . البحرين ص ٥١ .
١٠١ - بلاد العرب ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ ، راجع هامش رقم (٩٢) .
١٠٢ - الخراج وصناعة الكتابة ص ٢٥١ .
١٠٣ - أحسن التقاسيم ص ١٠٥ .
١٠٤ - صفة جزيرة العرب ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، وتكملة القصيدة على ص ٣٨٠ وهي في (٣٥) بيتاً .